دور اليهود في دبلوماسية دولة الأمير عبد القادر
شيخ فطيمة ، المجلد الثاني عشـر، العدد 2، ماي 2021،
ص ص 155-167

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

دور اليهود في دبلوماسية دولة الأمير عبد القادر

The role of the Jews in the diplomacy of the State of Emir Abdelkader

فطيمة شيخ (*)

جامعة سعيدة، الجزائر

chikhfatima28@gmail.com

تاريخ الإيداع: **11** /2021/04 تاريخ القبول: 2021/04/25 تاريخ النشر: 2021/05/30

الملخص:

عرفت الجزائر كغيرها من الدول عزو فرنسي انتهى باحتلال استيطاني فرنسي لها، وذلك بعد سقوط حكومة الجزائر العثمانية رسميا 5 جويلية 1830م، ورحيل الداي حسين باشا عنها في 10 جويلية 1830م نحو مصر، لكن المقاومة لم تتوقف بسقوط الحكومة الرسمية لتقوم على أيدي الجزائريين الذين انطووا تحت راية الأمير عبد القادر الجزائري مؤسس دولة الجزائر الحديثة المستقلة على أسس دينية إسلامية عربية جزائرية أصيلة، فقد أقام دولة على أسس فعلية، وكانت ذات معالم لسيادة تامة بداية من الحاكم الذي يشمل شخصية الأمير الشرعي المنتخب بالبيعة إلى تكوين هياكل إدارية، وتنظيم المناطق ورسم الحدود، والعلم وصولا إلى عقد المعاهدة والاتفاقيات وتبادله للممثلين مع حكومة فرنسا ممثلين أغلبهم كانوا من اليهود الأهالي وهو أمر ظهر في مراسلات الأمير عبد القادر. **الكلمات الدالة:**

الأمير عبد القادر، دولة جزائرية، نشاط دبلوماسي، اليهود

Abstract:

Algeria knew a French colonialism, which brought down its official government. Consequently, a local government emerged: the state of Al-Emir Abdelkader Al-Jazaery, which carried all the symbols of power and sovereignty in rule. The French colonialism itself recognised Al-Emir state's power and concluded several treaties and agreements with it. Those contracts and concords ended with the exchange of diplomatic representatives that he chose amongst the Jews of Algeria, and its senior notables and merchants. They achieved many privileges for him, and thus this representation was the subject of controversy among the French authorities and the Algerian people themselves. Nevertheless, the prince realised with his diplomatic

(*) المؤلف المرسل: **شيخ فطيمة** chikhfatima28@gmail.com

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

representatives many privileges, political victories, and economic gains throughout the period of his rule and the establishment of his state.
Key Words:
Emir Abdelkader, Algerian state, diplomatic activity, Jews.

****

هو عبد القادر بن محي الدين الابن الرابع لعبد القادر محي الدين، ويعود أصل أسرة الأمير إلى الأدارسة الذين كانوا في المغرب الأقصى والأوسط والأندلس، وقد اشتهرت سلالة الأمير وعائلته بالعلم والتقوى والجهاد، وبذلك استطاعت أن تبسط نفوذها على القبائل النازلة في نواحي الغرب الجزائري، خاصة في عهد السيد محي الدين والد الأمير عبد القادر، كما كان يمثل الطريقة القادرية بالجزائر التي انتسبت إليها أسرة الأمير في عهد جده محمد المعروف بالمجاهد[1].ولد الأمير شهر ماي من سنة 1807م في قرية (القيطنة)على ضفة واد الحمام في منطقة (أرغيس) التي تقع في إقليم وهران في الجزائر[2]، كني بأبي محمد، نشأ في محيط علمي وثقافي، وكان موضع اهتمام وعناية كبيرة من طرف والده الذي مال إليه ميلا خاصا، فأحاطه برأفته وحنانه المتميزين، كأنه كان يرسم فيه المجد[3].

أظهر الأمير عبد القادر في شبابه شجاعة فاقت كل شجاعة، فكان دائما أول من يقود إطلاق النار أو يغطي الانسحاب[4]، لتصبح له شهرة كبيرة وهو يكاد يبلغ السابعة عشر ربيعا، وفروسية خاصة جمع فيها سمات القوة، والشجاعة والتحمل ليكون محط الأنظار لشدة البأس وقوة البدن، والفروسية، لتتعود بذلك نفسه وروحه على تحمل الشدائد والصعاب، ورغم ثراء أسرة الأمير إلا أن ذلك لم يدفعه إلى اللهو، والترف وكان متواضعا ووسط في كل الأمور[5].عام 1821م سافر الأمير عبد القادر لإتمام دراسته إلى مدينة (أرزيو)[6] الساحلية وتتلمذ على يد الشيخ القاضي أحمد ابن الطاهر البطيوي الذي كان مشهورا بعلمه وسعة اطلاعه بين 1821-1823م/1237 -1239 هـ، ثم رحل إلى مدينة (وهران) أين توجد مدرسة العالم الفقيه أحمد بن خوجة، وتوسيع معارفه اللغوية والفقهية والنحو، والبيان والفلسفة والمنطق، وصقل مكانته الأدبية والشرعية، كما كانت له رحلات علمية للقروين والزيتونة، وكانت البيئة التي عاش فيها بيئة إسلامية وتربوية إيمانية، واجتماعية متماسكة، وفي ظلها تكونت شخصية الأمير، وهي التي أثرت في تكوينه النفسي والجسماني، والفكري والاجتماعي والسياسي[7].

أسس دولة الأمبير عبد القادر:

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

مع نزول القوات الفرنسية بميناء (سيدي فرج) في جوان 1830م (يونيو) قادمة من ميناء (طولون) الحربي، استعدت قوات الجيش الإنكشاري بدعم القبائل إلى مواجهة هذا الغزو الذي سرعان ما تحول إلى احتلال رسمي بعد انهزام الجيش الإنكشاري أمام القوات الفرنسية، وانتهاء الأمر بتوقيع معاهدة الاستسلام، وتسليم عاصمة البلاد مدينة (الجزائر) في 5 يوليو 1830م، ليغادرها الداي، وتلا ذلك توسع قوات الاستعمار في البلاد، واحتلال باقي الأقاليم[8] مرتكبا أبشع الجرائم في حق الشعب الجزائري المنعزل، ليتسابق بذلك أولو الرأي من العلماء والفقهاء، والمرابطين في محاولة لإيجاد مخرج لهذه الأزمة، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، واتفقوا على شيء واحد وهو اللجوء إلى محي الدين[9]، وذلك لما كان يتمتع به من احترام وتقدير، وقد أشار عليهم أول الأمر إرسال وفد إلى سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن[10] الذي أحسن وفادتهم، وتقبل عرضهم بكل امتنان، وعقد لابن عمه علي بن سليمان على (الجزائر)، واتخذ (تلمسان) عاصمة لمقاطعة الجديدة، وامتد نفوذه إلى (مليانة) شرقا.

لكن يتعرض السلطان لتهديدات مباشرة من السلطات الفرنسية وإبراز العواقب الوخيمة التي ستنجم عن هذا التصرف، فبلغ الهلع السلطان فرضخ وسارع إلى سحب جنوده من (الجزائر) بعد ستة أشهر فقط من دخوله عليها، لتعم الفوضى والاضطرابات من جديد[11]، ليعود كبار القوم ورؤساء القبائل من جديد إلى الشيخ محي الدين طالبين منه تولي الأمر بنفسه، لكنه اعتذر بلباقة، واقترح أمام هذا الموقف مبايعة ابنه عبد القادر بالأمارة، وقد استقبل الحاضرون هذا الحل الفجائي، وغير المنتظر للمشكل بأصوات الموافقة العالية، لتبدأ مراسيم البيعة[12] الأولى بوادي (فروحة) من (غريس) عند شجرة الدردار بتاريخ 13 رجب 1248هـ /28 نوفمبر 1832م، حيث بايعه القوم في مقدمتهم والده، تلاه اقاربه وأشراف القوم ورؤساء القبائل، والأعيان وبقية الشعب، ثم توجه إلى مسجد (معسكر) فصلى بالناس إماما، ووفق خطبا في الجموع حاثا فيهم الناس على الانضباط والالتزام، وداعيا إلى الجهاد والعمل، واكتفى عبد القادر بلقب الأمير، ولم يقبل لقب السلطان حتى لا يغضب سلطان (المغرب)، وكانت البيعة الثانية العامة في 13 رمضان 1248هـ /4 فبراير1833م بعد انعقاد مجلس عام حضرته جماهير عريضة من أفراد الشعب يتقدمهم الأعيان والأشراف [13].

أقام الأمير عبد القادر إمارته على الفضل والعدل والنظام[14]، ودعا إلى إخلاص الحكم وثقة المحكومين، وأن الحكم لا يتم إلا إذا كانت الثقة متبادلة بين الحاكم والرعية[15].

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

أسس الأمير دولة على أسس فعلية كانت بدايتها منه هو كأمير، وقائد رسمي لهذه الدولة بعد أن رشحه والده للولاية ليكون نموذج جديد للولاية أصل فيه الأمير الخلافة الراشدية، ويرجع به إلى الحكم الإسلام في عهده الذهبي، واختار لدولته علم استوحاه من التقاليد الشعبية، وهو قطعة من القماش الأبيض توسطها يد مفتوحة، والبياض رمز الطهارة والجدة والصفاء، واليد الخماسية ترمز إلى نفي الغريب، والتعوذ من الحسود والشرير، والغالب على الظن أن هذه اليد كانت صفراء اللون[16].كما كانت المبايعة بعث لتقاليد كاد حكام المسلمين أن ينسوه، وهو الخضوع لإدارة المحكومين، ودعوتهم للتعبير عن اختيارهم بمحض الحرية، وكانت طقوس المبايعة تذكرنا بما جرى في المدينة المنورة أثر مبايعة الخلفاء الراشدين[17].كما أسس الأمير جيش نظامي قوي دعم به أهدافه الداخلية والخارجية، واهتم بتدريبه على أحدث الفنون العسكرية، وزوده بالأسلحة المتقدمة، كما دعا العامة إلى التجنيد بخطاب كله صرامة ومصداقية عن طريق إصدار بلاغ رسمي بذلك[18].

أنشأ الأمير حكومة منظمة أشرك فيها ممثلين من العلماء والأشراف، ورؤساء القبائل، وكان يقل عددهم أو يكثر حسب أهمية المسائل والقرارات، والأمير من الحريصين على أن تكون حكومته من ذوي الخبرات الذين اشتهروا بالكفاءة، والقدرة والخبرة، والعلم والفضل، والتقوى، كما أسس الديوان الذي كان مقره في (معسكر) أو (المدية)، أو ينقل إبان الظروف العدوانية إلى تلك الأماكن التي يرتئي أنها الأكثر ملائمة لظروف الحرب[19].قسم الأمير البلاد إلى ثماني ولايات وفق تنظيم إداري قائم على أسس فدرالية تمثل في وجود مقطعات إدارية يرأس كل مقاطعة خليفة للأمير، وهي تلمسان، معسكر، مليانة، بجاية، بسكرة، برج حمزة، المنطقة الغربية من الصحراء[20].

وقام بإنشاء ديوان الإنشاء والتعمير وولي عليه السيد الحاج مصطفى ابن أحمد التهامي، كما قسم الولايات إلى دوائر وضع على كل دائرة رئيسا، وهذه الدوائر عبارة عن قبائل تتشكل كل منهما من بطون وعشائر، وجعل كل قبيلة قائدا، وعلى كل بطن أو عشيرة شيخا يرأسها، وكانت الأوامر تصدر إلى كل هذه المراتب عن طريق التسلسل، وكان المشايخ يرفعون القضايا الهامة إلى القيادة العليا، وهذه بدورها ترفعها تسلسلا حتى تصل ديوان الأمير.

كان الأمير يعتمد على كل من يتمتع بالعلم والشرف والفضيلة، ولم يولي أحدا محاباة ولا يسلمهم زمام الأمور إلا بعد أداء القسم المقدس، وكان يتم تعيين العاملين بالدولة وفق

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

مراسيم خاصة تحرر بقلم كاتب الديوان الخاص، ويوضع عليها خاتم الدولة، وهو خاتم كبير نقش في الوسط عليه هذا البيت:

من تكن برسول الله نصرته إن تلقاه الأسد في آجامها تجم[21]

ونقش على الجانب الأخر: الله، محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، علي، وفي دائرة صغيرة أدخل الخاتم نقش: " ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين"، والتاريخ الهجري 1248هـ[22].

3.دور اليهود في دبلوماسية الأمير عبد القادر:

ذكر كورين شافاليه (Corrine Chevalier) أن اليهود تواجدوا بنسبة كبيرة في (الجزائر) حيث كانت تمتلئ بهم الشوارع خاصة في باب الواد بمدينة(الجزائر)[23].عقد الأمير مع القوات الفرنسية اتفاقيات ومعاهدات، كانت معاهدة "دي ميشال" أولها بين الحكومة الفرنسية والأمير، اختصت بشروط التعيين المتبادل للممثلين، وذلك عن طريق تعيين دبلوماسيين معتمدين عند كلا من الطرفين، ليشكل هذا اعترافا ضمنيا في هذا الاتفاق، ولو على جزء من الأقاليم بالسيادة الزمنية والروحية لعبد القادر "أمير المؤمنين"، وقد اختار الأمير الوكلاء الدبلوماسيين لتمثيل دولته من بين اليهود، الذين كانوا يعتبرون أنفسهم من رعاياه، مثلهم مثل غيرهم من الجزائريين، وكان ذلك أيضا لمهاراتهم الدبلوماسية وكذلك لمعرفتهم لكلتا اللغتين، وكان هناك ثلاثة منهم، وكانت مهمتهم تتمثل في السهر على التطبيق الدقيق للمعاهدة، وتبادل أصحاب الجنح والجنايات، والفارين من الجيش، وتطبيق الأحكام الصادرة في كلتا المنطقتين[24] .كان أبرز ممثلي الأمير من اليهود هم مادوخاي (مردوش)، وبن دوران والحاج حبيب محمد بن يخو، وخالفه بن حمود[25].

ومن ضمن النشاطات الدبلوماسية التي قام بها مادوخاي كممثل ديبلوماسي بين الأمير عبد القادر والسلطات الفرنسية بعد تعيينه من طرف الأمير عبد القادر هو:حمل مردخاي رسالة من الجنرال، "دي ميشال" [26] إلى الأمير عبد القادر كرد على رسالة جاء فيها: " إلى سمو الأمير عبد القادر، أيها الأمير لم يكن بعيدا ابدا عن فعل أي أمر حسن، فإن كان سموكم يقبل أن يتفاوض في أمر معاهدة بيننا نوقف بها سفك دم أمتين اقتضت الإرادة الإلهية ألا تكونا تحت سلطة واحدة، سيكون لي أمل كبير في الحصول على نجاح اتفاقية المفاوضة بيننا"[27]، وكان تاريخ رسالة الجنرال هذه في كانون الأول من عام 1833م[28].وقد حصل الأمير عبد القادر أثر معاهدة "دي ميشال" حصر التجارة الوطنية والدولية للقمح والحبوب به[29].كما قام ابن دوران بأدوار ديبلوماسية كان من ضمنها:

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

كان ابن دوران ضمن وفد من الحكومة الفرنسية الذي وصل في 4 يوليو 1836م برئاسة "سنت أيبوليت" يحمل معه الهدايا الفاخرة إلى جانب صورة عن تعديل بنود في معاهدة "دي ميشال" حررها مستشارون سياسيون، وعسكريون حملت بنود جديدة حسب المصلحة الفرنسية وتجرد فيها الأمير من أي نوع من أنواع السيادة وجعله مجرد موظف في الإدارة الفرنسية[30].أما في معاهدة "تافنة" فقد أرسل الأمير عبد القادر اليهودي ابن دوران للتفاوض على الهدنة باسم الفرنسيين التي قبلها الأمير وحررها يوم 20 ماي 1837م، وعقدت وفق اتفاق الطرفين الأمير عبد القادر والسلطات الفرنسية[31].

- كان ابن دوران يطلع الأمير على جميع تناقضات السياسية الفرنسية وعملائها العديدين المكافئين والمهتمين بالعمليات التجارية التي تسمح لها أوضاعهم، وما فتئوا في أسفارهم يزدهون باستحقاقات عبد القادر أمام الفرنسيين[32].

وحمل الأمير كل من مولود بن عراش[33]، وابن دوران عام 1839م إلى باريس مع ستة أحصنة هدية لملك الفرنسيين، وبهدف توضيح تغيير معاهدة (تفنا) خاصة لكن لم يحصلا على شيء موثوق (مكتوب)[34].وكان ابن دوران ضمن الوفد الفرنسي[35] الذي زار الأمير عبد القادر، وكان غاية الوفد هو استطلاع نوايا الأمير في الجبهة الشرقية، وللتعرف على جيشه، وإمكاناته الحربية ونفوذه وسط الشعب، وكان هذا الوفد في ظاهر الأمر غير عسكري، وغير سياسي فهو مؤلف من علماء، وشخصيات مدنية مهتمة بالطب، والفن والقانون، كما ضم (قرافيني) قنصل الأمير لدى الفرنسيين الذي رفضوا الاعتراف به، كما كان قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في (الجزائر)، وذكر أن ابن دوران كان أحد أعيان اليهود بالعاصمة، وأن الأمير ترك عنده مالا، وقيل أنه من جواسيسه أيضا[36]، وذكر "أدريان" أن قدر المبلغ ب 300,000 فرنك، وكان الأمير قد أودعه في داره، وأن الأمير قدر رغب في استعادة ذلك المال لأنه وجد مكانا يودعه فيه أكثر فائدة من الأول، وذكر أن هذا المبلغ قد وضع في حساب الأمير لشراء بعض المعدات والأسلحة بعد توقيع معاهدة "تافنة" (مايو 1837)[37]، كمخلفات سنوات الاحتلال الفرنسي الثمانية.[38]

وذكر (برونو) أن عبد القادر أرسل ابن دوران إلى الجنرال قائد وهران الذي لم يذكر اسمه مزودا بمعلومات محددة جاء فيها: " ليبلغ كل طرف للطرف الآخر ما ينقصه وبذلك تتحقق رغبات.... بل يذهب السلطات إلى حد السماح لكم بتموين تلمسان، ولما كان مثل هذا التنازل سيغيظ العرب الذين يعتبرون احتلال الفرنسيين لتلك المدينة عارا قد لحق بهم"،

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

وكذلك قبل توقيع معاهدة "تافنة"[39].كما نقل ابن دوران للأمير عبد القادر أن وزارة الحرب قد أعطت سلطات مطلقة لبيجو توماس روبير، ليعقد بذلك الأمير مجلسه والحصول على موافقته على الاتفاق مع "بيجو" عن طريق إرسال السي حمادي الصقال إلى (وهران) لصياغة نص الاتفاق المستقبلي.

حقق ابن دوران نجاحا متميزا بما فيه إقراض "بيجو" 186000 فرنك لإصلاح الطرقات القروية في مقاطعة (بريغور) منطقته، وهو أمر عرض مارشال المستقبل للشبهات، ولم يتعرف بها إلا بعد ذلك بعدة سنوات في قضية كان لها صدى بعيد[40].كما حمل ابن دوران رسالة من الأمير عبد القادر إلى المارشال (قاله) في تشرين الثاني نوفمبر 1840م لإعلامه بإعلان الحرب على القبائل الخاضعة لسلطانه، وعلى السلطات الفرنسية[41].كما شارك كل من مرتخاي عمار[42] رئيس الفئة اليهودية، وبوجناح رفقة الميلود بن عراش، وتور نييه (Thorigny) ضابط خيالة، وفورجال (Forgel) ضابط ملحق بالجنرال لتسليم الهدايا المرسلة إلى الأمير من قبل الجنرال " دي ميشيل"، وكان الأمير معسكرا ب(سيق)، وذلك حسب رسالة الأمير أن الهدية كانت سلاح حدد ب 100 بندقية، و500 كلغ بارود، وحدد تاريخ الرسالة بيوم 11 مارس 1834م، كرد على الرسالة التي حملها الوفد المذكور، والتي أرخت بيوم 10 مارس 1834م[43].ودون اسمه أيضا ضمن رسالة الأمير عبد القادر إلى الجنرال "دي ميشال" يقول فيها:" وصلتني رسالتك وفهمت مضمونها... وهما (مولود[44]، ميلود بن عراش وولد محمود) وسيجتمعان خارج وهران بمردخاي عمار وسيعلمانه بكل الاقتراحات فإن قبلتها تستطيع أن ترسل إلى ...»، وتمت المقابلة يوم 4 شباط فبراير 1834 م[45].

كما ذكر "دي ميشال" أنه كتب رسالتين لأمير عبد القادر بإيحاء من اليهودي مرتخاي الأولى بتاريخ 6 و7 ديسمبر، والثانية 27 ديسمبر من سنة 1833م[46].ومن المراسلات التي ذكر فيها بوجناح رسالة الأمير إلى "دي ميشال" التي كتبها الأمير وحدد تاريخها 26 أفريل أو 27 أفريل 1834م جاء فيها: "... والتجسس عن أحوالنا وأحولكم وجميع مكاتبهم التي أرسلها الدوايرإليهم هاهي تبلغك مع أبي جناح لتعلم تخليطهم ...، وأبو جناح هو الذي يخبرك بالواقع... "[47].

وهذه الرسالة ذكر فيها مدحا لشخص أبو جناح وشخصيته، ولمح إلى أنه ذكر له الأخبار من القائد الفرنسي "دي ميشيل"، وحتى انطباعاته[48]. كما أرسل الأمير رسالة إلى الجنرال "دي ميشيل" الذي بدوره كان اليهودي أبو جناح[49] بالوساطة مع الأمير وابن بوشناق شريك بكري، وجاء ذلك في نص رسالة رقم 5 في كتاب عبد العزيز زوز "مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

دي ميشال" يقول الأمير: "...وتيقنا تحليك بالأوصاف الحميدة من بعثك من يصلح لمجالسة الملوك من خيار مجلسك عبد الله ومرتخاي وأبو جناح موصوفين بالفطانة، والرأي الصالح والتدبير، ولذيذا الكلام المستقيم في واسطة الصواب بالذي يناسب مقامنا ومقامكم..."، ورجع كتابة هذه الرسالة يوم 15 شوال 1249 هـ ، الموافق ل 25جانفي 1834م [50].

كان اليهودي يعقوب العسري من ضمن دبلوماسي الأمير عبد القادر أيضا، ووكيل تجاري في خدمة مصالح الأمير، وذكر اسمه في مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال "دي ميشيل"، وكذلك اسم مخلوف الذي لم تحدد هويته، ومن ضمن الرسائل رسالة بتاريخ 20 رجب 1250هـ، يقول فيها:"... السلام من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته وبعد، العسري ومخلوف تعطيهما مكتوبا بأوامرك على أن يقضوا لنا مصالحنا في البحر، وإنا جعلناهما لقضاء حوائجنا ...."، وكان الموافق للتاريخ 24 نوفمبر 1834 م[51].أرسل الأمير رسالة في أمر يعقوب العسري للجنرال دي ميشال" بتاريخ 1834م جاء فيها:"... فإن العسري تكلمنا معه في السابق على أمر مرسى المالح ورشقون في حياة ولد مرشى عمار[52]، ودفع لنا كثيرا من المال....."[53].ووجد رسالة أخرى بتاريخ 21 ديسمبر 1834م جاء فيها اسم يعقوب العسري كتبت أيضا من طرف الأمير عبد القادر جاء فيها:"... كما وصلنا أيضا المكتوب في جانب يعقوب العسري وإذنك له فيما أردنا منك..."[54].وكانت رسالة الأمير التي حملت بتاريخ 12 رمضان 1250هـ /31 جانفي 1834م حملت أيضا إسم يعقوب العسري وتوليه من طرف الأمير في عملية شراء، جاء فيها:"... من جانب المحبة والمودة تعطي التسريح لحريفنا يعقوب العسري، فإنا كنا قد تعاقدنا معه على قدر من البارود وغيره، فأعطه مكتوبك وإذنك..."[55].أما اليهودي نيقولا مانوتشي (Manucain)، وكذا ابن دوران كان لهما دور كبير في ربط اتصالات الأمير بالفرنسيين، وتبليغ وجهة نظره في القضايا المطروحة، وفي الصفقات المقترحة، كما كان "لينقولا" دور في شراء الأسلحة من الإنجليز للأمير، وكان قد حمل معه 4000 ريال للشراء من القاعدة الإنجليزية بجبل طارق[56].

كان ابن بدران قنصل الأمير عبد القادر بالجزائر العاصمة، وعين نظرا لمعرفته بالشؤون الفرنسية بحكم تربيته في (فرنسا)، وإتقانه اللسان الفرنسي، ولقربه من عمار مرتخاي بالمصاهرة، وكان له دور كبير في عقد معاهدة "تافنة"، واستعمله الأمير في حل مشكل وقع له بتاريخ 26 ديسمبر 1834م، وكان بإقليم وهران[57]، وكان اليهودي قد استعمل دهائه وحنكته في دفع " دي ميشال" في ظل غياب الحاكم العام فواريول (Voirol) إلى إمضاء المعاهدة "تافنة"، وأقنع "بيجو" بالفوائد المحتملة التي تحصل عليها فرنسا في حالة قبولها شروط الأمير عبد

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

القادر[58] ليحصل بعد هذا الإنجاز على زيادة حصته من مبيعات الحبوب، كما قام بتورط كل من الجنرال "بيجو" والجنرال "بروسار" (Brossard) في قضية رشوة قدرت ب 180000 فرنك أضرت بسمعتهما، ولطخت شرفكما العسكري[59].

مساوئ اختبار اليهود كدبلوماسيين للأمير عبد القادر:

من ضمن ما ذكر عن مساوئ نفوذ اليهود في دولة الأمير ما ذكر عن لسان أدريان بيير بروجير، الذي ذكر في كتابه واقعة حدثت في رحلته التي كان اليهودي ابن دوران أحد أفرادها، هو معاملة ابن دوران لأحد المشايخ في طريق رحلته، واستعماله صيغة الأمر والسلطة في الكلام معه يقول: " وفي اللحظة التي دخلنا فيها عند بن هني وجدنا الإسرائيلي الأمين يطلب من شيخ الدوار بلهجة آمرة: "البيض والزبدة له والتين والشعير لمطيته"، وظل الشيخ ساكنا لا يتحرك وصامتا كأنه لم يسمع شيئا، فكر اليهودي الطلب بلهجة فيها غضب حاد فقهره الشيخ باحتقار قائلا: ومن أنت حتى تأتي وتصدر الأوامر هنا؟ فأجابه اليهودي بلهجة فيها انكسار:" أن يهودي السلطان "، فرد عليه الشيخ : " يهودي السلطان أو يهودي الشيطان ما أنت إلا كلب حقير ليس له كلمة أمام مسلم"، بنبرة حادة مجبرا على التوقف عن مواصلة الحديث[60]، كما عرف عنه الانتهازية، وكان اليهودي يهوذا بن دوران طالما خدم الفرنسيين، إلا انه كان دائما موضع شك واتهام، غير أن الحاجة لهم لتسيير أمورهم فرضت التعامل معه، وكان "بيجو" يكرهه بشدة [61]، كما كرهه المرشال "فالي" أيضا، واتهم عمرو مردخاي وبوشناق سنة 1834م بالتواطؤ مع الأمير عبد القادر بقيامهما بتظليل ديميشال[62].ونتيجة قيام اليهود بدور الوساطة السياسية والتجارية والترجمة بين المسلمين والفرنسيين استطاعوا أن يطلعوا على الإسرار السياسية للأمتين، وكثيرا ما قاموا بخداع الطرفين لحساب مصالحهم الخاصة[63].

خاتمة

من خلال الدراسة المقدمة نستنتج أن كل من الأمير عبد القادر والسلطة الفرنسية كانت تتوجه إلى عناصر نافذة من اليهود في المجتمع الجزائري من جهة أو تجار لهم نفوذ مالي واقتصادي من جهة لجعلهم نشطاء في حركة الدبلوماسية السياسية، والعلاقات الاقتصادية بين الطرفين الأمير والسلطة الفرنسية، وكذا الأمر قدر ما كانت له فوائد جمة للطرفين، خاصة الأمير الذي ساهم اليهود في توقيع معاهدتين "دي ميشال" و"تافنة"، وبشكل كبير لصالح الأمير، كان لهم أيضا دور في حصول فرنسا على امتياز اقتصادية ومالية، لكن رغم هذا كان اليهود يمثل عنصر شك، وغير موثوق فيه خاصة من طرف جنرالات فرنسا الذين كانوا في الكثير من

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

المناسبات يضغطون على الأمير عبد القادر للتخلي عن اليهود الذين يخدمونه، وتغييرهم بعناصر أوروبية، وهو أمر يمكن أن نرجحه إلى قمة الثراء التي كان يتمتع بها هؤلاء اليهود، والتي كانت محل أطماع الفرنسيين، ونقمتهم عليهم، لكن ما يلاحظ هنا غياب اليهود الدبلوماسيين في آخر فترة من نفوذ دولة الأمير عبد القادر، وفي الكثير من الكتب التي تطرقت إليها في الاستسلام والتفاوض عليه غاب اليهود، ويمكن أن نستنتج أن الأمير استعمل اليهود في تسيير شؤونه السياسية والاقتصادية عن طريق استغلال نفوذهم السياسي، والاقتصادي لخدمة مصلحته، ومصلحة دولته عامة.

هوامش

[1] عبد العزيز بن السبع، الأمير عبد القادر وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، أغسطس 2000، ص 11.

[2] شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، ترجمه وقدم له وعلق عليه أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس ص 39.

[3] عبد العزيز بن السبع، المرجع السابق، ص 13.

[4] شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص 39.

[5] محمد محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص ص 101-102.

[6] أحمد ابن الطاهر البطيوي: كان قاضيا على أرزيو.

[7] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص ص 101-102.

[8] عبد العزيز بن سبع، المرجع السابق، ص 19.

[9] محي الدين الشريف الهاشمي محي الدين بن مصطفى الحسني شيخ الطريقة القادرية، وينسب إلى بني هاشم أرومة الرسول صلى الله عليه وسلم كان ذا مكانة ووقار وهيبة مميزة، وكلمة مسموعة بين القبائل حتى أن الولاة العثمانيين كانوا يحسبون له حسابا ويحترمون نفوذه بين القبائل ويخشونه، وكان من الداعين للجهاد وتنظيم صفوف المقاومة خلال سنين من الاحتلال ولكن بشكل غير منتظم، وقد عاش بين 1833/1716م، أنظر: محمد علي الصلابي: المرجع السابق، ص ص 87/81.

[10] مولاي عبد الرحمن: هو عبد الرحمن بن هاشم ولد بفاس 1204هـ /1789 م، توفي في مكناس 1859م سلطان المغرب الرابع عشر من سلالة العلويين، حكم المغرب بين 1822م /1859م عاش أحداث احتلال فرنسا للجزائر 1830م، وكانت له مواقف مع علماء وأعيان الجزائر بداية من مبايعته سلطان على الجزائر عام 1830م إلى خيانته الأمير عبد القادر وطرده من المغرب والمساهمة في استسلامه، كما كان السبب في وقوع المواجهة بين جنده وجنود الأمير التي خسرها عبد القادر واستسلم بعدها.

[11] عبد العزيز بن سبع، المرجع السابق، ص ص 20-21.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

[12] البيعة: لغة المبايعة هي صفة على إيجاد البيع على المبايعة والطاعة على الأمر، أي تعاهدوا، وهي عبارة عن المعاهدة إذن المبايعة تعني العهد، أنظر: إبن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 1119، ص 570.

[13] عبد العزيز بن سبع، المرجع السابق، ص ص 22-23.

[14] نزار أباظة، الأمير عبد القادر الجزائري: العالم المجاهد دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط1، 1414 هـ، ص 10.

[15] عبد العزيز بن السبع، المرجع السابق، ص 24.

[16] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 114.

[17] نفسه، ص 114

[18] نفسه، ص ص 120-121، لمعلومات أكثر عن الجيش أنظر الصفحات 122-123-124.

[19] نفسه، ص 127.

[20] علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص ص 129/128

[21] المرجع نفسه، ص 129

[22] نفسه، ص 130.

[23] Corrine (Ch) : les trente premier années de l'état d'Alger, édition OPC, Alger , 1988 , p 18.

[24] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 137.

[25] المرجع نفسه، ص 138.

[26] مردخاي الموسوي: هو يهودي درس في باريس ومرسيليا وعمل مترجما للداي ووكيلا له في الجزائر والتي حملت معنى قنصلا أنظر: برونو إتيين، المصدر السابق، ص 180.

[27] دي ميشال : من مواليد 15 مارس 1779 بباريس، توفي 1845، موقع معاهدة دي ميشال مع الأمير عبد القادر بوهران في 04 جويلية 1834.

[28] محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص ص 152-153.

[29] برونو إتيين، المصدر السابق، ص 180.

[30] محمد محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص ص 163-164.

[31] المرجع نفسه، ص ص190-191.

[32] برونو إتين، المصدر السابق، ص ص 184-185.

[33] المولود بن عراش: هو شيخ عرب معسكر، ومن المقربين من الامير وممثله في مفاوضته مع دي ميشيل، تولى الاشراف المباشر على النشاط التجاري بأرزيو خلال مدة السلم مع دي ميشيل، وارسل في مهمات سياسية واقتصادية الى كل من الجزائر العاصمة وباريس، وهو من ذوي النفوذ المالي وممن لهم علاقات وصداقات مع اليهود في ذلك الوقت، عبد الحميد زوزو، مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشال ووثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2013، ص 53.

[34] نفسه، ص 206.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

[35]الأسماء الأوروبية هي: قراقيني القنصل العام لولايات المتحدة الأمريكية، والوكيل السابق والمكلف بأعمال الأمير، تم السادة بوديشون وهو طبيب، والمحامي رانك، وكاتب الضبط بالمحكمة العليا بالجزائر أبييه (ABIER)، والمترجم مانوشي، ومحافظ المكتبة والمتحف بالجزائر بروجير أنظر أدريان بروجير، المصدر السابق، ص 117.

[36]أدريان بيربروجير، مع الأمير عبد القادر- رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1839/1837)، ترجمة وتعليق : د.أبو القاسم سعد الله، مطبعة الطباعة العصرية، جانفي 2005 ، الجزائر، ص ص6-7.

[37]المرجع نفسه، ص 35.

[38] نفسه، ص 78.

[39]برونو أتيين، المصدر السابق، ص 192.

[40]نفسه، ص 193.

[41]بنفسه، ص 193.

[42] مرتخاي عمار تاجر يهودي بوهران، ومن عائلة معروفة وقتئذ بمدينة معسكر، ويبدو انه كان يحظى كثيرا بثقة الأمير وبصداقة ابن عراش، عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 57.

[43] نفسه، ص ص 66-67.

[44]مولود: هو رئيس قبيلة الغرابة، وقنصل الأمير بميناء أرزيو خلال الهدنة مع دي ميشيل، عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 56.

[45] بسام العسلي، الأمير عبد القادر الجزائر (1300 هـ /1221-1883/1807م)، دار النفائس، ط1، 1980، ط2، 1986، بيروت، ص 89.

[46] عبد الحميد زوز، المرجع السابق، ص ص 53-54.

[47] نفسه، ص 91.

[48]نفسه، ص 79.

[49] بوجناح: ويسمى أيضا بوشناق وخاصة في الكتب الفرنسية، كلفه الجنرال دي ميشيل بالوساطة مع الأمير، وهو ابن بوشناق شريك بكري، نفسه، عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 63.

[50] عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص ص 63-64.

[51] نفسه، ص 132. .

[52] مرشي عمار: كان رئيس الطائفة اليهودية بوهران توفي في أواخر سنة 1834 وكان من ضمن ممثلي الأمير عبد القادر والذين يسهرون أموره لدى فرنسا

[53] عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص ص 137-138.

[54]نفسه، ص 145.

[55]نفسه، ص 163.

[56]سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص ص 221-224.

[57] عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 155.

E-ISSN : 2571-9742
P- ISSN: 1112-945X

[58] نفسه، ص 155.

[59] سعيدوني ناصر الدين، المرجع السابق، ص 221.

[60] أدريان بير بروجير، المصدر السابق، ص ص 35-36.

[61] معوشي أمال، يهود الجزائر والاحتلال الفرنسي(1830- 1870م)، دار الرشاد للنشر والتوزيع، 2013، ص 90.

[62] نفسه، ص 92.

[63] نفسه، ص 46.